هدية متواضعة الى الاستاذ
امين المميز مع وافر الثقة

عبد الرحمن البزاز

الإسلام والقومية العربية

من منشورات نادى البعث العربى

(٢)

١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

عبد الرحمن البزاز

الإسلام والقومية العربية

من منشورات نادي البعث العربي

(٢)

١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م

الاهداء

الى الشباب المضطرب الحائر الذى لايبصر طريقه واضحا فى بحران هذه الحياة الزاخرة بالتيـارات المتضادة ، والامواج المتلاطمة ، أهدى هذه « الرسالة » عسى ان يجدوا فيها بصيصا ينير لهم السبيل .

ع . البزاز

مقدمة

يسرني أن أنشر نص المحاضرة التي كنت قد القيتها في نادي البعث العربي بتاريخ ١٧-١-١٩٥٢ ، استجابة لطلبات فريق من اعضاء النادي ، وتحقيقا لرغبات اخرين غيرهم ممن استمعوا لتلك المحاضرة ، أو سمعوا عنها ، وأحسب أن من المفيد أن أعرض هنا لبعض النقاط لتكون بمثابة التمهيد للافكار التي عرضتها في صلب المحاضرة ، ولاكشف بها عن العوامل الخاصة التي حملتني على اختيار هذا الموضوع بالذات « الاسلام والقومية العربية » ليكون

الحلقة الخامسة من سلسلة المحاضرات التى أعدها النادى لموسمه الثقافى فى هذا العام •

ولقد كنت أشعر ، منذ زمن طويل ، بان عددا لا يستهان به من الناشئة ، من الشبان والشابات ، على تباين مستوياتهم الثقافية ، يجدون صعوبة عقلية كبيرة فى التوفيق بين « الفكرة القومية » و « العقيدة الدينية » • وقد وصل الحال ببعضهم الى حد العقدة المستعصية التى تتطلب الحل السريع • وكان من نتائج ذلك أن نجد فريقا منهم ـ وهم الذين تتغلب فيهم النزعة القومية ـ قد انصرفوا عن الدين انصرافا تاما ، بينما نجد الفريق الاخر ـ وهم الذين تغلبت فيهم الروح الدينية ـ قد تنكروا للقومية كل التنكر • ولولا التوهم ، وسوء الفهم ، واضطراب التفكير ، لما وجدت تلك الصعوبة العقلية بحال من الاحوال ، ولما صار من اللازم أن يكون الايمان « بالقومية » مدعاة للكفر « بالدين » ولا الايمان بالدين مبررا لنكران

القومية . ولقد كنت ، شخصيا ، معرضا ، طوال حياتي المدركة ، لاسئلة كثيرة من هؤلاء وأولئك ، بل كنت في أحيان عديدة موضوع انتقاد قاس من هذا الفريق أو من ذاك ؛ فبعض القوميين ينكر علي « شعوري الاسلامي » ، وبعض المسلمين ينكر علي « احساسي القومي » . ولست أغالي اذا قلت بانني كنت ـ وربما لم أزل ـ لغزا مغلقا يتطلب الحل في نظر كثير من هؤلاء واولئك . وقد كنت معرضا لاسئلة عديدة ، وملاحظات شتى وأنا طالب أتم دراستي في انكلترا ، وأعمل في القضايا القومية بجد في « الجمعية العربية » التي كونتها مع فريق من الاخوان في لندن ، وأساهم بنشاط في الجمعية الاسلامية التي كان معظم أعضائها من الهنود المسلمين . وربما كنت اكثر تعرضا لامثال تلك الملاحظات والانتقادات بعد عودتي الى العراق سنة ١٩٣٩ ، وانا أشتغل في التعليم العالي ، وأنشط في العمل القومي بجمعية الجوال العربي ـ تلك الجمعية

التي أغلقتها الحكـومة كمـا أغلقت نادي المثنى بعـد
حوادث سنة ١٩٤١ - وفي الوقت نفسه كنت اساهم في
المسائل الدينية والقي الخطب والمحاضرات وخاصة في
حفلات المولد النبوي • ولقـد ازدادت الملاحظـات
حولي ، والانتقادات التي توجه لي ، في هذا الشأن في
الفترة التي قضيتها في معتقلات الفاو والعمارة ونقرة
السلمان حينما كنت أجد مع لفيف من الاخوان الذين
يشاركونني في الرأي في العمل بالدعوة القومية ،
مع التمسك التام بأحكام الاسلام وآدابه • ولم أزل
أتذكر بوضوح المناقشـات الطـويلة ، والمجادلات
الصاخبة ، بل الانتقادات العديدة العنيفة التي تعرضت
لها من كثير من زملائنا المعتقلين الذين كانوا يجدون ،
هم بدورهم ، صعوبة في التوفيق بين الدعوة القومية ،
والشعور الاسلامي • واني اليوم ، وبعد مضي نحـو
من عشر سنوات ، لاشعر بغبطة عظيمة حينما أقارن بين
ما يكتب ويعلن بعض من اولئك الزملاء اليوم ، وما

كانوا يعتقدونه ويعلنونه بالامس ، فقد تغير بعضهم ، فى هذه الناحية ، تغيرا كليا ، ولم يعودوا ـ كما كانوا من قبل ـ ليتوهموا بأن القومية العربية الحق تعارض الروح الاسلامية الصحيحة ، كما كانوا من قبل يزعمون ...

وكنت أعتقد ـ ولم أزل ـ بان القومية العربية الخالية من الفكرة الاسلامية هى بمثابة الجسم الخالى من الروح ، والشعور الاسلامى المجرد من الشعور القومى ـ بالمعنى الذى سأوضحه ـ يستحيل الى افكار مجردة لا تتصل كثيرا بالحياة العامة التى نحياها كأفراد وجماعات . وعندى أنه باستطاعة المرء أن يوفق بين القومية العربية والدين الاسلامى ، كما يؤلف الموسيقى الماهر بين الالحان العذبة المتنوعة ليخرج من مجموع ذلك نغما رائعا قويا موحدا .

لعلى أسهبت فى ذكر شؤون خاصة كان الاليق بى الا أتطرق اليها ، ولكننى فعلت ذلك لاثبت بأن

الموضوع الذى عالجته فى هـذه المحاضـرة لم يكـن موضوعا مرتجلا ، وان الافكار التى عرضتها وناقشتها ليست أفكارا آنية مستحصلة من دراسات طارئة ، أو ظروف خاصة ؛ انها أفكار كانت تخامرنى ، وتجول فى مخيلتى ، وتستقر فى ذهنى ، منذ سنوات عديدة • وكنت أشعر ـ ولم أزل ـ بان اعلانها ، والافصاح عنها ، ليس نافعا فحسب بل ضروريا لتبديد بعض الاوهام الشائعة ، وحل بعض العقد التى يجب ان يكون من أول واجبات المعنيين بالحياة العامة العمل على تبديدها وحلهـا •

هذا وانى لاعلم سلفا بأن أفكارى هذه ستثير فريقين متعارضين ، متطرفين ، من الناس ؛ وسيرمينى بسببها فريق « بالجمود » وفريق اخر « بالخروج » عن المفاهيم الاسلامية كما توارثوها • وكنت أعلم سلفا أيضا بان بعض القوميين الذين لا يزالون ـ فى عقولهم الباطنة ، وان كمت أفواههم ـ لا يقيمون للقومية وزنا

الا على أساس عنصرى ، ومبادىء علمانية ، سينكرون عليّ هذا الاتجاه فى التقريب بين القومية العربية والاسلام ، كما اننى كنت أعلم بأن بعض المتزمتين والتقليديين من المسلمين سينكرون هذا التفكير الحديث الذى يحبب الاسلام الى القوميين ، ويدلل على قيام أوثق الصلات بين « الاسلام ، من حيث هو « دين وفلسفة حياة » والقومية العربية من حيث هى « عقيدة وحركة » . وحرى بى أن أعلن هنا بكل صراحة بأننى حينما أصدر عن رأى ، وأتمسك بعقيدة ، لا أعنى كثيرا باتهام المتهمين ، وغضب الغاضبين ، وازورار المزوّرين ؛ والمهم عندى أن أكون مخلصا فى عقيدتى ، صادقا فى شعورى ، متحريا الحق فيما أقول . ولست بطبيعة الحال أنكر احتمال الخطأ فيما أقول وأرى ، ولكنى لن أرجع عن رأى ، ولن أتهيب عن اعلان فكرة ، خوفا من غضب الغاضبين ، أو تحاشيا من انتقاد المنتقدين . ولن أرجع عن رأى ـ حينما أرجع ـ الا

بعد أن تقوم الحجة على بطلانه ، وتؤكد الوقائع الثابتة خلافه ـ ولكنى أشعر بان البراهين تتظافر ، والوقائع تزيدنى فى كل يوم دليلا ، على صدق ما أقول وأدعى فى هذا الشأن ٠

وجدير بى أيضا أن أشير هنا بأن الوقت المحدد للمحاضرة لم يكن كافيا لعرض هـذه القضية المهمة عرضا مستفيضا ، وهذا مما اضطرنى لبعض الايجاز ، والاكتفاء أحيانا بالاشارة العابرة ، فى مواقع قد يكون من المستحسن فيها الاسهاب ٠ ومع ذلك فقد أبقيت المحاضرة على نصها دون زيادة أو نقصان ، وأرجو أن أوفق يوما ما لان أعود الى هذا الموضوع الحيوى فأوليه ما يستحق من البحث الشامل ، والاستقصاء الدقيق ٠

وقد يكون من الحق عليّ أن أعلن بكل صراحة واخلاص ، بأنى شخصيا لم اجد قط صعوبة جدية فى التوفيق بين شعورى القومى ، الذى أعتز به ، وأعمل

بروحي منه ، وعقيدتي الدينية التي أتمسك بها ، واحرص عليها ، وان كلا منهما كان يزيد الاخر قوة وعمقا في نفسي • وأحسب ان كل فرد منا قادر على الوصول الى ما وصلت اليه ، متى أدرك قوميته ، وعرف دينه ، على وجههما الصحيح •

عبدالرحمن البزاز

الإسلامُ والقَوْميّة العَربيّة

تمهيد :

يجدر بي ، في مستهل هذا البحث ، أن أوضح المقصود من عنوان المحاضرة ، وأحدده بعض التحديد ؛ لان ما فيه من اطلاق وشمول قد يوهم بعض السامعين بأني أقصد أن أبحث في « المبادىء الاسلامية » و « الفكرة القومية » ، بحثا عميقا مفصلا . وهذا الامر ، على أهميته ، لا يصلح ، بطبيعة الحال ، للمعالجة في محاضرة واحدة ، وحري أن يكون موضوع دراسة خاصة ؛ وغاية ما أرمي اليه ، في هذا المساء ، هو تحديد علاقة القومية العربية ، من حيث هي « عقيدة

وحركة » بالشريعة الاسلامية من حيث هي « دين وحضارة وفلسفة حياة ؟ وبعبارة اخرى ، سيدور بحثي حول الاجابة على سؤال مهم ، أحسب أنه طالما جال في أذهان كثير من مثقفي العرب ، وكثيرا ما اوقعهم التفكير فيه بارتباكات ، وجعلهم في بحران ، وهذا السؤال هو : « هل يمكن ان يكون الفرد منا قوميا مخلصا لقوميته ، ومسلما صادقا في عقيدته في آن واحد » ؟ وهل هناك تعارض اساسي بين القومية العربية بمعناها العلمي الدقيق ، والشعور الاسلامي الصحيح ؟ وهل في الانتساب الى أحدهما تبرؤ من الآخر ؟ .. واسمحوا لي أن أبسط السؤال بعض التبسيط فأقول : هل في قولنا هذا قومي مسلم ، أو هذا مسلم قومي ، تعارض أو تضاد ، كقولنا هذا ملحد متدين ، أو هذا متدين ملحد ، أو جمع بين متناقضات ، كقولنا هذا شيوعي فاشي ، أو هذا ديموقراطي دكتاتوري ؟ أو اذا ما اردنا ان نستعمل

اصطلاحات القدامى ، هل يكون فى قولنا هذا قومى مسلم تنافر كقولنا هذا جبرى قدرى ، وهذا شيعى خارجى •

اسباب التعارض :

وعندى أن التعارض الظاهر بين الاسلام والقومية العربية ، ذلك التعارض الذى لا يزال قائما فى أذهان كثير من الناس الى هذا اليوم ، يرجع بالدرجة الاولى الى سوء فهم ، وسوء تصوير ، وسوء تفسير • أصاب كلا من « الاسلام » و « القومية العربية » على حد ســـواء •

١ ـ سوء الفهم •

أما سوء الفهم للاسلام فمتأت من المعنى الخاطىء « للدين » ، وتأثرنا ـ نتيجة للاستعمار الفكرى الذى لا تزال طائفة منا ترزح تحت اعبائه ـ بالمفاهيم الغربية التى ترسم للدين مجالا ضيقا لا يعدو حدود التعبد ،

والطقوس الخاصة ، والمعتقدات الروحية ، التى يتقيد بها الانسان في سلوكه ، وفى تقرير علاقتــه بربه ، وأخيه الانســان ، من حيث هــو فــرد مســتقل عن المجتمع • وهذا المعنى الضيق للدين لايقره الاسلام ، وهو يعارض طبيعته وغايته كل المعارضة • وكثير من الناس لا يزالون يتصورون أن الدين الاسلامى هو كالديانة المسيحيــة أو البوذيــة ، معتقــدات تعبــدية ، ومناسك وآداب سلوك ولا شىء غير ذلك • وفى الحق ان الاسلام ، بالمعنى الدقيق للاســلام ، نظـــام اجتماعى ، وفلسفة حياتية ، وقواعد اقتصادية ، ونظام للحكم ، بالاضافة الى كونه عقيدة دينية ، بالمعنى الغربى الضيق • وقد ادرك بعض مفكــرى الغــرب الفــرق الشاسع بين طبيعــة الاســلام الشاملــة ، وطبيعــة المسيحية المحدودة ، وذلك لان المسيحية كانت تعنى بالفرد من حيث هو فرد ، وطهارته الروحيــة اكثــر من عنايتهما بالفرد من حيث هو جزء من المجموع ،

وعلاقته بهذا الكل • وكان ذلك محتوما نظرا لاختلاف طبيعة الدينين ، وظروفهما وعصر نزولهما ؛ اذ بينهما كان السيد المسيح فردا من أفراد المجتمع الاسرائيلي الخاضع للدولة الرومانية ، المجرد من أى صفة فعالة فى النظام السياسى القائم ، كان النبى محمد عليه السلام قائدا ، وحاكما ، ومدبرا للشؤون السياسية ، قدر ما كان مصلحا اجتماعيا ومرشدا دينيا • ومن المفكرين الغربيين الذين ادركوا هذا الفرق بين الدينين الفيلسوف المعاصر « برتراند رسل » وأشار اليه فى كتابه القيم « الثقافة والنظام الاجتماعى Education and the Social Order اذا اعتبر الاسلام دينا سياسيا ، أى دينا موجها للجماعة، يتوغل فى حياة الفرد والمجموع توغلا كليا ، واعتبر المسيحية والبوذية ، من الناحية الاخرى ، ديانات « الافراد » ،اى ديانات غير سياسية • والذين لا يزالون ينظرون الى الدين الاسلامى ، ويفهمونه فهما ضيقا ، وينتزعون معناه من

المسيحية يخطئون خطأ فاضحا فى تقدير حقيقته ؛ فما دام الاسلام دينا سياسيا ، على حد ما يقول « رسل » ، فليس من الضرورى أن يتعارض مع القومية العربية الا اذا اختلفت اهدافهما السياسية ، وهذا غير متصور كما سنرى بعد قليل •

وكما حدث سوء فهم للاسلام فقد أصاب القومية العربية سوء فهم أيضا ، ولعل مرجعه تصور بعض الناس بان القومية لا تقوم الا على دعوة عنصرية أو عصبية جنسية ، وانها بذلك قد تصبح معارضة لطبيعة الاسلام الشاملة • ولاشك بأن غلو بعض القوميين فى دعوتهم القومية ، كان من الاسباب المهمة فى سوء الفهم هذا ، بل لا شك أيضا من أن بعض ما عمله قديما بعض حكام الامويين وامرائهم وولائهم فى اندفاعهم فى عصبيتهم القبلية ، ودعوتهم العنصرية تعارض مع طبيعة الاسلام • ولكن القومية العربية التى نؤمن بها ، وندعو اليها لا تقوم ـ كما نص على ذلك ميثاقنا

القومى ـ على الدعـوة العنصـرية ، بل ترتكـز على الروابط اللغوية ، والتأريخية ، والادبية ، والروحية ، والمصالح الاساسية فى الحياة • وبهذا المعنى فليس هناك تعارض بين القومية العربية والديانة الاسلامية من هذه الجهة أيضا •

وقد قام قسط لايستهان به من سوء الفهم للقومية العربية وعلاقتها بالاسلام فى عقول كثيرة من الناشئة الذين عرفوا شيئا عن تاريخ الغرب والنهضات القومية، ولمسوا آثار التعارض بين الدين المسيحـى ، وتلك النهضات القومية واضحا ، وكان ذلك طبعا بالنسبة للمجتمعات الغربيـة ؛ لان الكنيسـة ، وكانت تدعى سلطات روحية واسعة على جميع المسيحيين ، تنظـر شزرا لكل دعوة سياسية قد تنقص من سلطانهـا ؛ وبعبارة أخـرى ان الحياة الاوربيـة كانت تتنـازعها سلطتان أساسيتان هما سلطة البابا الروحية ، وسلطة الامبراطور الزمنية ، وهذه « الثنائية » ـ وان انتقلت

الينا فى بعض مراحل تطورنا الاجتماعى المتأخر - لايعرفها الاسلام الحق ولا يقرها ، بل ان وحدة العقيدة ادت الى وحدة الحياة ، ووحدة الحياة صيرت خليفة المسلمين اماما للصلاة ، وقائدا للحرب ، ومدبرا للسياسة فى آن واحد . وعلى هذا فتعارض القومية الالمانية أو القومية الايطالية مثلا مع المسيحية لايستلزم تعارض القومية العربية مع الاسلام . وحرى بنا ان نتذكر هنا الفرق الشاسع بين صلة المسيحية بالغرب ، وعلاقة الاسلام بالعرب ذلك ان المسيحية دين وافد على الغربيين ، وانها ، وقد انبعثت من روحانية الشرق ، تعارض كل المعارضة طبيعة القبائل التيتونية فى المانيا ، والصلتية فى فرنسا ، وان القومى الالمانى أو الفرنسى لذلك ، يجد صعوبة كلية فى التوفيق بينها وبين خصائص قوميته التى يعتز بها ، وانه ليدرك ان المسيحية لم يتأت لها ان تتوغل الى جذور الحياة الجرمانية أو الصلتية . وهذا عكس الحال بالنسبة

للاسلام ، وأثره فى المجتمع العربى ، والامة العربية كما سنوضح هذا بعض التوضيح .

٢ ـ سوء التصوير .

أما سوء التصوير فاريد به تلك الصورة الخيالية الباهتة التى صور بها الاسلام كثير من المفكرين والكتاب ، من مسلمين وغيرهم ، قديما وحديثا ، اذ افقدوا الاسلام مادته ، وانتزعوا منه طبيعته الحيوية المتوغلة فى الحياة العامة ، واحالوه ، مع الزمن الى قواعد ومثل عامة مجردة لاتتصل بالحياة القائمة الا أوهى اتصال . وقد جهد بعض الكتاب فى قطع الصلة بين الاسلام والحياة العربية التى كانت اولى مجالاته وارحبها . وازداد هذا التصوير سوءا حينما صور فريق من المؤرخين والادباء تاريخ الامة العربية تصويرا خاطئا مغرضا ولاسباب عديدة ـ لاتتسع هذه المحاضرة لسردها ـ جهد الاعاجم ـ وكثير منهم كانوا

شعوبيين ينفسون على العرب ما نالوه من شرف الاسلام -
في عرض تاريخ الامة العربية على غير حقيقته. وقد تورط
فريق من مؤرخي العرب انفسهم، «كابن خلدون»،
فنعت العرب بنعوت ظالمة، وتجنى عليهم في كثير من
احكامه، وهو في الغالب كان يريد الاعراب، سكان
البوادي، لا العرب المتحضرين، كما أشار الى ذلك
الاستاذ ساطع الحصري في دراسته القيمة لمقدمة ابن
خلدون. وكان من الطبيعي ان يكون للسياسة أثر فعال
في هذه الوجهة الخاطئة ذلك لان زوال سلطان العرب
السياسي، وتوغل نفوذ الاعاجم في الادارة والحكم،
دفعهم الى التقليل من شأن العرب والى اعطاء صورة
للاسلام ذات طابع عالمي، وقطع علاقته بالعرب ما امكن
ذلك. ولقد غالى كثير من امراء ووزراء العهد
العباسي في هذه الناحية كما غالى من قبل بعض حكام
الامويين في الناحية الاخرى. ولست اريد هنا ان

استعرض تأريخ الدولة العباسية ، لأبين أثر الاعاجم والموالى فيها ، منذ بدء نشوء دعوتها ، الى حين ظهورها ، فعلا على مسرح الحياة ، وبعد ذلك الى ان قضى عليها . كما لا أريد ان اسهب فى بحث حالة دول الطوائف ، وكان معظمها غير عربى ، وأثر ذلك فى هذه النزعة الشعوبية . ثم ان بقاء العرب - فى الغالب الاعـم - محكومين للدولة العثمانية قرونا عديدة قد سـاعـد كثيرا على نشر الفكرة الخاطئة القائلة بتعارض القومية العربية مع الفكرة الاسلامية ؛ ذلك لان ايقـاظ اى شعور قومى يعرض خلافـة آل عثمـــان الى خطـر جوهرى ، ولهذا كان القطر العربى الوحيد الذى لم يخضع لحكم العثمانيين خضوعا تاما والذى كان دائما فى ثورات مستعرة كبدت الاتراك خسائر فادحة ، هو اليمن الذى كان غالب اهله من الزيدية التى تدين بان الخلافة فى قريش ، وفى هاشم من قريش ، بل وفى أولاد زيد بن على ، وان الخلافة العثمانية غير شرعية ،

لانها تعارض نصوص الاسلام القاطعة ذاتها .

٣ ـ سوء التفسير

واريد بهذا في الدرجة الاولى سوء تفسير بعض الآيات القرآنية المتعلقة بتحديد طبيعة الدعوة الاسلامية ، وذلك لان الاسلام ، وان يكن دينا عاما يصلح للناس جميعا ، وقد انتشر في الواقع بين اجناس وقوميات عديدة ، ولكن ، مما لا شك فيه ايضا ، انه دين قد أنزل أولا وبالذات للعرب، فهو بهذا المعنى دينهم الخاص ؟ فالرسول منهم ، والقرآن بلسانهم ، وكثير من عاداتهم واحكامهم السابقة قد ابقاها الاسلام بعد ان هذبها ، واستصفى الصالح منها . ونحن في هذا الرأى لانطلق عن عاطفة قومية جامحة ، ولا نصدر عن هوى ، ولا نلقى الكلام على عواهنه ـ كما تقول العرب ـ وانما نستند في ذلك الى حكم القرآن ذاته ، والى السنة النبوية الصحيحة ، والى مافعله خلفاء صدر الاسلام الذين هم

يمثلون الاسلام احسن تمثيل ، ولا عبرة بعد ذلك بالمفاهيم الخاطئة الغامضة التى شاعت فى العالم الاسلامى ودرج عليها المسلمون بعد ان قوى شأن الاعاجم ، وصارت لهم الصدارة فى المحيطين السياسى والعقلى ..

والآيات القرآنية المؤيدة لهذا الرأى عديدة أجتزىء منها بما يلى : جاء فى سورة ابراهيم آية (٤) « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » فالرسول العربى اذاً قد ارسل لقومه بلسانهم العربى ، وفى سورة الزخرف آية (٢٤) « وانه لذكر لك ولقومك ولسوف تسألون » أى ان القرآن ذكر للرسول ، ولقومه العرب الذين سيسألون اذا ما فرطوا فيه ، وقد جاء فى سورة «البقرة» آية (١٤٣) « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ، فالمخاطبون هنا من دون شك ، هم العرب قوم النبى ، ومن ذلك ايضا الآية (٢) من سورة يوسف « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » فالذين يعقلون انما

هم الذين يدركون معنى القرآن ويفهمونه ، وهم العرب بطبيعة الحال . وكذلك الآية (٥٨) من سورة الدخان « فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون » والآية الثانية من سورة الجمعة « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .. » وكذلك ماجاء فى سورة التوبة آية (١٢٨) « لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم » بل وفى الآية (٦٦) من سورة الانعام « وكذب به قومك وهو الحق » . هذه الآيات الكريمات من مكية ومدنية وغيرها كثير ، تؤيد بان الاسلام دين العرب قبل أن يصبح دينا عالميا . وليس فى هذا تعارض مع الآيات الاخرى كالآية (١٠٧) من سورة الانبياء « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » لانه قد ثبت تأريخيا بأن بعث النبى الى العرب ، احيى الامة العربية بمجموعها وبعثها ، وهذا البعث قد أفاد العالم المعمور حينذاك

بكامله ، وكان العرب دعاة الاسلام ومنقذى العالم من الظلم الذى كان سائدا ، والجهل المطبق الذى كان مخيما وكانوا ، على حد ماقال كوستاف لوبون ، ارحم الفاتحين الذين عرفهم التاريخ ...

وفى السنة النبوية مايؤيد هذا القول ، من ذلك مارواه الشيخان البخارى ومسلم ، عن ابن عمر أن النبى قال : « لايزال هذا الامر فى قريش مابقى منهم اثنان » . وكذلك ما ورد فى الاثر « الائمة من قريش » ، ومن ذلك ماروى عن سلمان الفارسى قال : قال لى رسول الله (ص) « يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك ، قلت ، يارسول الله كيف أبغضك وفيك هدانا الله ، قال تبغض العرب فتبغضنى » ، بل ان فى افعال مسلمى الصدر الاول مايؤيد طبيعة الاسلام العربية ، فقد تردد عمر كثيرا فى فتح الاجزاء الخارجة عن الجزيرة العربية والهلال الخصيب ، وقد قبل الزكاة مضاعفة من نصارى تغلب القبيلة العربية المشهورة حينما اعتبروا

اعطاء الجزيــة مذلــة لهــم ، وســاهمت كثــير من القبائل العربية المسيحية فى الفتح ، وساعدت عليه ، وقد قبل المسلمون الجزية من اصحاب الديانات من الاجناس الاخرى خارج جزيرة العرب اما فى الجزيرة فخيروا بين الاسلام والجلاء . يستدل من هذا كله بأن للعرب وبلادهم وضعا خاصا فى الاسلام ، بل أن ماذهب اليه فريـق من الفقهـاء فى بحث الكفــاءة فى الزواج من كون الاعجمى ليس بكفء للعربية ، وان استويا فى أشياء اخرى ، لدليل على ماللعرب من وضع خاص ممتاز فى نظر الاسلام والتشريع الاسلامى . واستطيع ان أؤكد بان كثيرا من المبادىء التى أقرها الاسلام واصبحت جزءا منه ، هى من التقاليد العربية القديمة التى هذبها الاسلام واعطاها طابعها الجديد . فاحترام الكعبة ، والحج اليها ، عادة عربية قديمة ، وكذلك شأن كثير من مناسك الحج وسننه ، بل أن احترام يوم الجمعة ، وكانت العـرب تسميهـا « يوم

العروبة » ، وجعلها يوم « عيد وزينة » ، كما ورد في الاثر لدليل آخر على طابع الاسلام العربي . وفي احكام الميراث والفرائض تخليد لكثير من النظريات العربية ، وخاصة في توريث العصبة ، والاهتمام بالاقرباء الصلبيين .

ونستطيع ان نعد من سوء التفسير ايضا . ذلكم الوصف الظالم لحالة العرب اثناء ميلاد النبي ، وفي عهد بعثته . وكان لمدوني السير ، ولمن جاء من بعدهم ، شأن في هذا الامر ، فقد ظنوا انهم يزيدون في عظمة النبي عليه السلام كلما ازدادوا في تصوير سوء حالة العرب قبل الاسلام ، لذلك لم يبقوا مثلبة من سفه ، واضطراب ، وانحلال ، وظلم ، وقسوة ، وما الى ذلك الا اضافوها الى العرب ؛ والانكى من ذلك كله انهم تصوروا ان حال العرب جميعا ، وفي كل الازمان ، هو حالهم وقت بعث النبي عليه السلام ، وكأن لم تقم ، من قبل ، للعرب دول ولم يشيدوا حضارات أو

كأن ا م يكن لهم لغة أو شعر وأدب ،او مفاهيم حياة . ولست استطيع فى هذه المحاضرة ان ارد على كل تلك المزاعم التى تعارض القرآن ذاته ، وانما احيل الراغبين فى استقصاء هـذا الامر لدراسة الكتـاب القيم الذى ألفه الأستاذ « محمد عزة دروزة » وسماه « عصر النبى وبيئته قبل البعثة » ، فقد صور ذلك العصر تصويرا صادقا منتزعا من القرآن ذاته ، ولطم الشعوبية ، ومن سار مسيرها من المستشرقين ، وارجع الامر الى نصابه. والتفسير العلمى الصحيح للانبعاث العربى فى صدر الاسلام انه موجة من موجات الجزيرة العربية ، وان تكن اجل تلك الموجات واخلدها أثرا فى تاريخ العرب انفسهم وتاريخ الانسانية جمعاء . وليس باعتـزازنا بالحضارات العربية القديمة فى اليمن كحضارة المعينيين الحميريين والسبأيين ، أو حضارة العمالقة والانباط ، والحضارات العربية التى سبقت ذلك فى عهدالاشوريين والبابليين ، ليس فى هذا كله تعارض مطلقا مع الشعور

الاسلامى الصادق ؟ وان الاسلام لم ينسخ الا السىء من عاداتنا ، والباطل من شرائعنا ، وتقاليدنا ، وانه يقرر ان الناس ـ كما ورد فى الحديث الشريف ـ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية، خيارهم فى الاسلام . وليس من طبيعة الاشياء ان ينهض العرب بمثل مانهضوا به ، ويقوموا بمثل ما قاموا من جسيم الاعمال ، فى الحرب ، والسياسة ، والتشريع ، والادب ، والفن ، والاجتماع ، ونواحى الحياة الاخرى ، فى مثل تلك الفترة القصيرة من الزمن ، لو لم يكن معدنهم سليما ، ومواهبهم الكامنة عريقة ، وطبيعتهم مبدعة ، وروحهم قوية صادقة . وليس من السهل أن ينبغ فى أمة من الامم، فى جيل او جيلين ، مثل ابى بكر ، وعمر ، وعلىّ ، وأبى عبيدة ، وسعد ، وخالد ، وابن عباس ، وأبى ذر ، وابن مسعود من الرجال ، وخديجة ، وفاطمة ، وعائشة ، وأسماء ، والخنساء ، من النساء ، وغيرهم

كثير من عباقرة الدهر ، وعظماء التاريخ ، لو لم يكن العرب قد ورثوا حضارة عريقة متسلسلة ، ولو لم يكونوا مهيأين بفطرتهم للابداع والانشاء والتجديد . وليس كون النبي محمد عربيا حادثا عرضيا ، انه عبقري من امة ذات مواهب وخصال عظيمة . ولكن الشعوبيين الاقدمين ـ على حد ما قال الاستاذ عبد اللطيف شرراة فى كتابه « روح العروبة » ـ قدحلوا هذه المشكلة بان عطلوا العرب من كل حلية ، ولم يعترفوا لهم بأى فضل فى الشؤون الانسانية ، وحصروا اهتمامهم واعتبارهم وتقديرهم فى النبى عنوة ، وفصلوه عن غيره من سالفيه ومعاصريه ومواطنيه ، وحولوه الى كائن عالمى ، انتزع من ارضه وسمائه ، وتحلل من تاريخه وقومه ، ومثلوه نباتا باسقا فى صحراء مقفرة ليس لاحد عليه يد ، ولا هو مدين لاحد بيد ؛ وبالتالى فليس هناك على زعمهم أى معنى وراء عروبة محمد أو عجميته .

وإذا ماتركنا التاريخ جانبا ونظرنا الى اللغة والادب وجدنا ان اللغة العربية قد بلغت قبل الاسلام مرحلة من التقدم ، والادب منزلة من النضج ، لا يمكن أن يكون لمجتمع فطرى ساذج •••• يقول المستشرق « نولديكه » : (اننا ليمكننا الاعجاب بغنى معجم اللغة العربية القديم ، اذا ذكرنا مقدار بساطة الحياة العربية وشؤونها••• الى ان يقول وليست اللغة العربية غنية بكلماتها فحسب ، بل بقواعد نحوها وصرفها) • وللغة دلائل واضحة على الحياة العقلية للامة ، وهى عنوان تقدم المجتمع ، وكون اللغة العربية قد بلغت هذا الحد من الشمول ، وتلك المنزلة فى التركيب ، لدليل على تقدم المجتمع العربى ؛ بل ان القرآن الكريم ليشهد على عظم منزلة العرب فى فنون القول وتقديرهم للفصاحة والبلاغة ، وهذا لايكون الا فى المجتمع المتقدم عقليا ، ولهذا فان البداوة التى كانت شائعة بين كثير من العرب لم تكن مظهرا من مظاهر

الحياة البدائية ، كما هو شأن البدو في الامم الاخرى . فالعربى ، حتى البدوى ، هو نتاج حضارات ومدنيات قديمة ، وان ما فى ظاهر حياته من جفاء وخشونة قد فرضتها الطبيعة عليه فرضا ، اما عقليته وخصاله ، وادبه ، فينم عن تقدم اجتماعى عظيم ...

منزلة العرب فى الاسلام :

ويتضح من هذا كله ان العرب هم بمثابة العمود الفقرى للاسلام ، فهم المخاطبون الاولون بآيات التنزيل ، ومنهم كان المهاجرون والانصار ، وبسيوفهم فتحت الامصار والاقطار ، وانهم على العموم كانوا على حد ماقال عمر فى بعض وصاياه ، : « لاتضربوا العرب فتذلوهم فانهم مادة الاسلام » . واذا ماردنا ان نضرب مثلا مستمدا من التاريخ المعاصر جاز لنا ان نقول بان منزلة العرب فى الاسلام كمنزلة الروس فى النظام الشيوعى ، مع الفرق الواضح بين الدعوة

الأسلامية الروحية ، والمبادىء الشيوعية المادية ، وبعد أن تأخذ بنظر الاعتبار كون نبي الاسلام من العرب ، ومن اجل قبائل العرب شأنا ، وأن دستور الاسلام قد نزل بلسان عربى مبين ، وان داعى الشيوعية يهودى المانى ، وانجيل الشيوعية « رأس المال » قد وضع باللغة الالمانية . ولست ادرى كيف يجيز دعاة العالمية فى هذه البلاد لانفسهم تقديس الوطن الروسى، والافتخار بامجاد الروس وهم ليسوا منهم ، وينكرون على العرب المسلمين أن يتغنوا بأمجادهم ويفتخروا بأبطالهم ؟؟

بعد هذا العرض المفصل للمشكلات العقلية ، والعوامل التى توهم بوجود التعارض بين الاسلام والقومية العربية ، يحسن بنا ان نحدد ماذا يراد بالقومية ، وماذا يقصد على الاخص بالقومية العربية ، وماهى مقوماتها؟ لننظر فى تلك المقومات فنرى مايقرها الاسلام وما ينكرها ، ان كان ينكر شيئا منها .

فالقومية فكرة سياسية اجتماعية ترمى بالدرجة الاولى الى توحيد كل جماعة متجانسة من البشر وخضوعها لنظام سياسى واحد ، واما عناصر القومية او مقوماتها ففى ذلك اختلاف كبير لسنا بصدد شرحه فى هذه العجالة ، ولكننا نستطيع ان نؤكد بان القومية العربية الحديثة تستند الى اللغة ، والتاريخ ، والادب ، والعادات والسجايا ، وعلى العموم فان الروابط التى تربط الافراد وتجعل منهم امة هى روابط معنوية ومادية • ونحن اذا اخذنا هذه المقومات وفحصناها فحصا دقيقا ، وتحرينا عن موقف الاسلام من كل منها نجد تقاربا كليا بل توافقا تاما احيانا بين ماتدعو اليه القومية العربية وما يقره الدين الاسلامى • فاللغة اذا هى اولى مقومات عقيدتنا القومية ، وهى بالنسبة لامتنا العربية بمثابة الروح ومظهر حياتها ، والامة التى تفقد لغتها يكتب عليها الانقراض والزوال •

ولحسن حظ العرب فان لغتهم هى لغة الاسلام ، وان العناية بهذه اللغة ليس واجبا قوميا فحسب بل فرضا دينيا ، واثر الاسلام فى هذه اللغة وحفظها ونشرها عظيم جدا . يقول المستشرق الالمانى « يوهان فوك » فى كتابة « العربية » : دراسات فى اللغة والاساليب : « لم يحدث حدث فى تاريخ العرب ابعد اثرا فى تقرير مصيرهم من ظهور الاسلام . ففى ذلك العهد وقبل اكثر من ألف وثلثمائة عام عندما رتل محمد (ص) القرآن على بنى وطنه بلسان عربى مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، وكانت ذات دلالة عظيمة النتائج فى مستقبل هذه اللغة » . اما التاريخ فكما اوضحنا من قبل ان للعرب تاريخا مجيدا قبل الاسلام ، وتأريخهم اكثر نصوعا واعظم شأنا بعد الاسلام ، والعربى المسلم حينما يعتز بابطاله تمتزج فى نفسه عاطفتى المسلم الورع ، والقومى الغيور ، وفى الواقع فان ابهى صفحات التاريخ الاسلامى هى

صفحات التاريخ العربى الاسلامى ، كما يقرر ذلك مؤرخوا الغرب انفسهم . فقد اشار الى هذا المعنى الاستاذ « لوثروب ستودارت » مؤلف (حاضر العالم الاسلامى) وصرح به بجلاء كوستاف لبون مؤلف كتاب (حضارة العرب) . يقول لوبون « يبدو لنا الفرق بين الامم التى قد تكون على جانب كبير من الذكاء كالامة العربية والامم المنحطة كبرابرة القرون الوسطى الذين قضوا على دولة الرومان واجلاف الترك والمغول الذين غمر طوفانهم دولة محمد . فلقد أبدع العرب من فورهم ، بعد ان استعانوا بحضارة اليونان وحضارة الرومان وحضارة الفرس ، حضارة جديدة أفضل من تلك الحضارات التى جاءت قبلها . وكانت عقول البرابرة عاجزة عن ادراك كنه الحضارة التى قهروا اهلها والتى كان انتفاعهم بها ممسوخا فى بدء الامر ، والتى لم يسيروا بها نحو الرقى الا بعد ان صقلت ادمغتهم فصارت بعد زمن طويل قادرة على

ادراك معانيها » • وقد أسف ذلك المفكر الفرنسى الحر لعدم فتح العرب لاوربا وقال (لو وفق موسى بن نصير لفتح اوربا لكان قد جعلها مسلمة ، ولكان قد أنقذها من ظلمات القرون الوسطى التى لم تعرفها اسبانيا بفضل العرب) •

ترى أفباعتزاز العربى بمثل هذا التاريخ مناهضة للعقيدة الاسلامية ، بل حتى التاريخ الذى سبق الاسلام ، ليس هناك مايمنع المسلم الصادق الايمان ، والعربى المخلص ، من الاعتزاز بالصفحات الناصعة من تأريخ العرب • الم يذكر النبى عليه السلام حلف الفضول وهو الحلف الذى تعاقدت فيه بطون قريش قبل الاسلام على نصرة المظلوم حتى يؤدى اليه حقه فقال : « ماحب ان لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم ، ولو دعيت به فى الاسلام لاجبت » •

اما الادب العربى ، وهو ثمرة الشعور والعاطفة

العربية فى مختلف عصورها فان اعظم وأجل اقسامه قد وجدت بعد الاسلام ، بل ان القرآن ذاته ، بالاضافة الى كونه كتاب هداية ، اروع انموذج للادب الرفيع الذى يعتز العربى ، مهما كان دينه ، به ، وكم أود للشباب خاصة ان يقرأوا كتابا صغيرا مبدعا هو كتاب (التصوير الفنى فى القرآن) للاستاذ السيد قطب ليروا جمال أسلوب القرآن الفنى ، ومن يستطيع ان يبخس اثر القرآن فى الادب العربى؟ .
اما الشعر العربى قبل الاسلام ، وخاصة ما كان منه متعلقا بالوصف والحكم ، فليس فى اكثره ما يعارض روح الاسلام . اما المقوم الرابع من مقاومات قوميتنا العربية « العادات والسجايا العربية الصالحة » . فلا شك ان التقارب كلى ، ان لم اقل ان هناك انطباقا تاما بين الخلق الفاضل ، كما تصوره القومية العربية ، وكما يريده الاسلام فلنأخذ آية من القرآن الكريم تعرف البر ـ أجل صفات المسلم ـ ولننظر الى اى

مدى تقرها القومية العربية . « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » أفليست فى هذه الآية الكريمة ، دعوة صريحة للايثار والتضحية فى سبيل الغير فقيرا كان ذلك الغير او مسكينا او رقيقا بمساعدته على نيل حريته ، وفيها دعوة للايفاء بالعهد ، والصبر اثناء الازمات ، والشدائد . وهل (المروءة) وهى جماع الفضائل العربية ، شيء غير هذا . اننا لا ندعى بان جميع الاخلاق العربية قبل الاسلام كانت صالحة ، ولكننا نقول بأن الاسلام قد اقر اسمى صفات الخلق العربى ، ونحن فى دعوتنا القومية للاعتزاز بالاخلاق

العربية انما تريد تلك الاخلاق الصالحة المهذبة التى ترفع من شأن الانسان وتجعل منه مخلوقا حريا بوصف « التهذيب » .

خصائص الحركة القومية ونظرة الاسلام اليها :

ولنترك المقومات العربية جانبا ولننظر الى القومية من حيث هى حركة سياسية ترمى الى توحيد العرب ، وحكم انفسهم بأنفسهم . ان الحركة القومية هى حركة « ديمقراطية » « اشتراكية » « شعبية » « تضامنية » . والاسلام وان لم يفصل نظام الحكم ولكنه أوجب الشورى ، وهو من دون شك يقر النظام الديمقراطى الصحيح كل الاقرار وتشريعاته المالية وقواعده الفقهية ، هى فى طابعها الاساسى ، اشتراكية ، ما فى ذلك أدنى شك . وقد وفق الاستاذ « سيد قطب » توفيقا تاما فى شرح هذه الجهة فى كتابه القيم « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » . ويكفى

للتدليل على الروح التضامنية فى الاسلام وشعبيته ان تذكر طرفا من سيرة رسوله ، وسيرة خلفائه ، فنظام الحكم القومى الذى ندعو اليه والحالة هذه لا يتعارض فى قليل ولا كثير مع روح الاسلام .

القومية العربية والوحدة الإسلامية :

ولكن هذا القول يجب ان لا يختلط مع فكرة الدعوة الى الوحدة الاسلامية لان القول بأن الاسلام لا يتعارض مع الروح القومية العربية شيء ، والترويج للوحدة الاسلامية شيء آخر . والوحدة الاسلامية بمفهومها الصحيح الدقيق هو تكوين نظام سياسى شامل يخضع له المسلمون جميعا ، وهذا النظام وان يكن امنية جميع المتدينين من المسلمين ، ولكنه من الناحية العملية غير ممكن – او على اقل تقدير انه غير عملى فى الظروف الراهنة – لاسباب عديدة ؛ بعضها جغرافى ، وبعضها سياسى ،

وبعضها اجتماعي ؛ حتى لو سلمنا بتحديد تلك الوحدة ، وجعلها قاصرة على الاجزاء المتجاورة من الوطن الاسلامي • وعلى فرض امكان توحيد هذه الاجزاء فان توحيد الاجزاء التي تتكلم لغة واحدة ، وتتذوق أدبا واحدا ، ويجمعها تأريخ واحد ألزم وأولى واقرب للواقع المحسوس • ومن غير الطبيعي ان ننتظر اتحاد العراق بايران وافغانستان مثلا قبل ان يتحد مع سوريا والاردن ، والقول بخلاف هذا هراء لا يستحق الرد • وعلى هذا فتكون الدعوة لتوحيد العرب ـ وهذا هو اهم وأجلى غايات القومية العربية ـ الخطوة العملية التي يجب ان تسبق أي دعوة للوحدة الاسلامية • ولكن الغريب انك تجد بعض الذين يسمون انفسهم دعاة الوحدة الاسلامية في البلاد العربية اعنف خصوم الوحدة العربية، ولو انهم ادركوا الاشياء على طبائعها ، وقدروا الامور تقديرا صادقا ، ولم يخضعوا للعواطف المجردة ، لسلموا

تسليما تاما بأن دعوتهم لا محل لها قبل ان تتحقق اولى غايات القوميين العرب ، وهو انشاء كيان عام للعرب الموجودين فى قارتى آسيا وافريقية •

الخلاصة :

وخلاصة القول أن ليس هناك تعارض أساسى او تضاد واضح بين القومية العربية والاسلام ، واقرب ما يمكن ان توصف به العلاقة بينهما انها علاقة عموم وخصوص ، واذا اردنا ان نصور تلك العلاقة تصويرا هندسيا امكننا تصور الاسلام والعروبة دائرتين متداخلتين فى القسم الاشمل والاهم منهما ، وما يبقى خارج الدائرة المشتركة من كل منهما لا يتعارض تعارضا اساسيا مع القسم الاخر • هذه حقيقة يجب ان ندركها ، وحرى بالعرب ان يغتبطوا بهذه النعمة الكبرى ، نعمة عدم تعارض قوميتهم مع دينهم ، ذلك لان التركى المسلم الذى يريد الاعتزاز بقوميته مثلا ،

قد يجد صعوبة كلية فى التــوفيق بين ذلك الاعتزاز وشعوره الدينى الصادق ، فشعوره القــومى يفرض عليه الاعتزاز بلغته وتنقيحهــا من اللغــات الاجنبيــة الاخرى، وهذا يسوقه الى التنكر للعربية ، المعين الغزير الذى استقت منه اللغة التركية ، والادب التركى من أقدم الازمان • واذا ما أراد ان يفخر بأمجاده وأبطاله فى الماضى ساقه ذلك فى الغالب الاعم الى ان يحس ان العرب المسلمين كانوا غرباء عنه ، وانهم كانوا ــ على الرغم من المظاهر الخارجية ــ المستعمرين الحقيقيين له عقليا وروحيا وثقافيا ، اما العــربى المسلم القومى فلا يجد شيئا كبيرا من امثال هذا الحرج •

القومية العربية ومجموعة الشعوب الاسلامية :

ولست ادرى هل انا بحــاجة الى ان اقول بأن دعوتنا للقومية العربية ، وقيــام كيان عربى شــامل ، لا يدعونا ، بحــال من الاحوال ، للتنكر لغير العرب

من المسلمين ، ذلك لاننا ـ على حد ما نص عليه ميثاقنا القومى ـ نعتبر مجموعة الشعوب الاسلامية اقرب المجموعات الاخرى الينا ، ونرى فيها قوة عظيمة نعتز بها ، ونعمل على توثيق الصلات بها ، والتعاون معها • اما علاقتنا مع المسلمين من غير العرب من سكان الوطن العربى فهى علاقة الاخ باخيه ، انهم اخوان العرب ، لهم ما للعرب من حقوق ، وعليهم ما عليهم من واجبات • وليس فى قوميتنا أية دعوة لاضطهاد أى جنس من الاجناس البشرية ، بل ليس فيها شىء من الغرور القومى الاجوف ، والتعصب الجنسى الاعمى ، اننا حينما نفخر بامجادنا ونعتز بقوميتنا ، نريد ان نبعث امتنا لتنال مكانها اللائق بها بين شعوب العالم وامه • وهذا حق طبيعى تقره الأديان ، وتعترف به قواعد العدل • وليس فيه استعلاء على الغير ، أو ظلم للاجناس الاخرى •

القومية العربية والعرب غير المسلمين :

وحرى بنا ان نعلم بأن ليس فى دعوتنا القومية هذه ما يثير غير المسلمين من العرب ، او ينقص من حقوقهم كمواطنين صالحين . اذ التعصب ، بمختلف صوره واشكاله ، يتنافى مع الطبيعة العربية ، والعرب من غير المسلمين كانوا يتمتعون بحقوقهم الكاملة فى ظل الدولة العربية من اقدم الازمان ، وكانت مجالات الحياة فسيحة امامهم . والقوميون المخلصون من مسيحيى العرب يدركون هذا المعنى ، ويعلمون بأن الدين الاسلامى ، وما واكبه من حضارة جزء لايتجزأ من تراثنا القومى ، وعليهم كقوميين ان يعتزوا به ، كمايعتز به اخوانهم من المسلمين .

واسمحوا لى ـ حضرات السادة والسيدات ـ فى مختتم محاضرتى هذه ان اتلو عليكم هذه الفقرات المقتبسة التى ارجو ان تفكروا مليا فى معانيها :

(القومية الحقة لا يمكن بحال من الاحوال ان

تناقض الـدين الصحيـح ، اذ ليست فى جـوهرها سوى حركة روحيـة ترمى الى بعث قـوى الامـة الداخلية ، وتحقيق قابلياتها العقليـة والنفسية ، لكى تقدم الامة قسطها من تمدن العالم وحضارته •••• ولهـذا وجب على كل عربى من أية طائفـة او ملة ، يهتم بثقافته الماضية وبعثه الجديد ، ـ وهذا الاهتمام هو فى طليعة الواجبات التى تفرضها عليه قوميته ـ ان يقدم على درس الاسلام ، وتفهم حقيقته ، ويقدس ذكرى النبى العظيم الذى انزل الاسلام عليه) ••••

اتـدرون من هو المقتبس منـه ؟ انه عـربى ، مسيحى ، مثقف ، وعلى هذا فكلامه حجة على القوميين والمسيحيين والمثقفـين ، انه قول الدكتور قسطنطين زريق عميد الجامعة السورية وأحـد أعلام القوميـة العربية الحديثة •

وإني لادرك بان محاضرتي هـذه ، وعشـرات أخرى ـ في هذا الصدد ـ أحسن منها ، غير كافية لتبديد كل الاوهام والاخطاء الشائعة حول مفهوم القومية العربية والاسلام ، ولا قادرة على ازالة كل التصورات التي توحي بوجود التعارض بينهما • اذ ان ما انتجته تلك الصـور المسيئة والتفاسـير الخاطئـة ، وخلفتـه العصور الغابرة ، لا سبيل لاجتثاثه ومحوه ما لم نحقق الامور الثلاث التاليـة :

اولا ـ يجب علينا ان نتحرر من سلطان الغرب الذهني ، ومفاهيمه المستوردة ، ونفكر تفكـيرا حرا أصيلا في قضايانا وشؤوننا وتاريخنا ، ونترك القياس المضلل في الشؤون العقلية والاجتماعية ؛ وذلك لان اختلاف المقتبسات ، وتباين العـوامل والاوضـاع ، سيؤدي بنا الى نتائج مخطئة ، واحكام باطلة • علينا ان نستقل فكريا وننظر الى الاشياء نظرة موضوعية ،

ولا نأخذ عن الغرب حينما نأخذ ، او نعرض حينما نعرض ، الا بعد فحص دقيق ، ومقارنة محيطة تامة ٠

ثانيا ـ علينا ان نعمل بجد واخلاص لعرض ماضي امتنا عرضا جديدا ، وكتابة تأريخنا باسلوب علمي صحيح ، لنرفع تلك الصور الممسوخة ، ولنبطل تلك الاحكام الجائرة ، ولنمزق تلك الصحائف السود التي دبجتها يراعات المغرضين والدساسين علينا ، بعبارة أخرى ، ان ننزه تأريخنا من دس الشعوبية ، وبلاهة المخرفين ـ ولا اسميهم المؤرخين ـ ونعرض تاريخنا ، كما تعرض الامم الحية تواريخها ، ونؤكد على القيم الحضارية ، وما قدمناه على مدى العصور للانسانية من خير في العلم ، والفن ، والادب ، والتشريع ، ونواحي الحياة الفكرية الاخرى ٠ وعندئذ ستنمحي من مخيلات كثير من ابناء هذا الجيل وبناته تلك الصور الشوهاء ، والاشباح السوداء ، التي وقرت في اذهانهم عن تاريخ امتهم ، وسيرون ذلك التاريخ

قويا ، كما يجب ان تكون القوة ، ناصعا كما يكون النصوع ، حيا زاخرا بالمشاهد الأخاذة ، والبطولات الخالدة ، والخير الوافر العميم ...

ثالثا - واخيرا وليس آخرا ، علينا ان ننظر الى الاسلام الذى نعتز به كل العزة ، ونعتقد انه يعكس النفس العربية، وهو معينها الروحي الذى لا ينضب، علينا ان ننظر اليه ، ككل تام مجرد عن صفته الطائفية والمذهبية ، منبثق من ينابيعه الاصلية النقية - كتاب الله وسنة نبيه - كما فهمه اسلافنا القدماء قبل ان يحمله بعض متأخرى المسلمين، ما كمن فى عقولهم الباطنة من اثار الزردشتية ، والبوذية ، والاسرائيلية ، والسفسطة الرومانية والاغريقية . علينا ان نتلقاه منتزعا من بيئته العربية الصافية غير ممتزج بالمحيط العالمى الحالى ، ولا مكبل بقيود الصوفية الرمزية ، او مثقل بأوزار الكهنوتية الجامدة .

البعث العربي

تنطق بلسان نادى البعث العربى

تصدر مرتان فى الشهر

فى اول كل شهر ومنتصفه

ثمن النسخ

خمسون فلسا لمنفعة

طبع فى مطبعة ال